أطفالنا
فى رحاب
القرآن
الكريم

٨٥

آيات و قصة

وجعلنا من الماء كل شىء حى



محمد على قطب

أطفالنا في رحاب القرآن الكريم

آيات وقصة

(٨٥)

وجعلنا من الماء كل شيء حي

تأليف
محمد على قطب

رسوم
صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ
آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ سورة الأنبياء

صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ

معانى الكلمات:

١- **أَوَلَمْ يرَ**: مَعنَاهَا أَلَمْ يَعْلَمِ الَّذِينَ كَفَرُوا.

٢- **رَتْقًا**: الرَّتقُ هُو الالتِصَاقُ وَالالْتِزَاقُ، أَىْ كَانَتَا شَيْئًا وَاحِدًا.

٣- **فَفَتَقْنَاهُمَا**: فَفَصَلْنَا بينَهُمَا، وَصَيَّرْنَاهُمَا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً.

٤- **وَجَعَلْنَا**: أَىْ خلَقْنَا.

٥- **رَواسِىَ**: جِبَالاً رَاسِيةً ثَابِتَةً.

٦- **تَمِيد**: تتحرَّكُ وَتَهتَزُّ، فَلا تكُونُ مُستَقِرَّةً.

٧- **فجَاجًا**: طُرُقًا ومَسَالِكَ وَاسِعَةً بَيْنَ الجِبَالِ.

٨- **مُعْرِضُونَ**: غَافِلُونَ عَنِ النَّظَرِ فِى هَذِهِ الآيَاتِ.

٩- **فِى فَلَك يَسْبَحُونَ**: يَجرُونَ بِسُرْعَةٍ كَالإِنْسَانِ الَّذِى يَسْبَحُ فِى المَاءِ، وَالفَلَكُ هُوَ المدَارُ الَّذِى يَسِيرُ فِيهِ الكَوْكَبُ أَوِ النَّجْمُ.

كَانَ أَفْرادُ الأُسْرَةُ، أَبُو أَيْمَنَ، وأُمُّ أَيْمَنَ، وأَيْمَنُ، وأَشْرَفُ، وَإِيمَانُ، جُلُوسًا إِلَى مَائِدَةَ الطَّعَـامِ يَتَنَاوَلُونَ غَدَاءَهُمْ، وَيَتَحَـادَثُونَ عَلَى سَبِـيلِ التَّسْلِـيَةِ، وَكَـانُوا يتبَـادَلُونَ الكَلامَ فِي مَوْضُوعَاتٍ شَتَّى بَيْنَ جِدٍّ وَدُعَابَةٍ بَرِيئَةٍ.

وكَانَ الفَـصْلُ شِتَـاءً، بَلْ فى بدَايَته، حَـيْثُ تكُونُ نُذُرُهُ منَ الْغُيُـومِ وَالرِّيَاحِ وَالأَمْطَار مُفَاجَأَةً، وكَانَ رَذَاذُ المطَرِ وَحَـبَّاتُه تضْرِبُ زُجَاجَ النَّوافِذِ كَأَنَّهَا الموسيـقَى الصَّاخِبَةُ، لا تَعْرِفُ لحْنًا وَلا نَغَمًا مُميزًا.

فَقَالَتْ إِيمَانُ، بَعْدَ أَنْ سَرَحَتْ بِبَصَرِهَا مِنْ خِلالِ نَافذَةِ غُرفَةِ الطَّعَامِ:

سُبْحَـانَ اللَّه، فَبَعْدَ أَيَّامٍ منَ الآنَ سَـوْفَ يَتبدَّلُ مَنْظَرُ حَـديقتَنا، منْ أَرْضِيَّةٍ قَـد اصْفَرَّ بَعْضُ وَجْهِـهَا وَاغْـبَرَّ طَوَالَ فَصْلَي الصَّـيْفِ وَالخرِيفِ، وَتَعـرَّتْ أَغْصَانُ أَشْـجَارِهَا بِتَـسَاقُط أَوْرَاقِهَا الجَافَّةِ، إِلَى خُضْرَةٍ زَاهِيَةٍ نَضِرَةٍ، قَدْ بُعِثَـتْ فِيهَا الحَيَاةُ مِنْ جَدِيدٍ، بَعْدَ أَنْ كَانَت شِبْهَ مَيِّتَةٍ.



ثُمَّ أَضَافَتْ، وَقَدْ سكَتَتْ قَلِيلاً، مُوَجِّهَةً كَلامَهَا لأَبِيهَا:

لَقَدْ تَذكَّرتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ كُنْتُ أَقْرأُ ذَاتَ يَوْمٍ سُورَةَ الحجِّ، وَتَوقَّفْتُ فِى أَوَائِلهَا عِنْدَ الآيَـةِ الخَامِسَـةِ، أُفكِّرُ وَأَتَأَمَّلُ، وَلَقَدْ حَرِصْتُ عَلَى تِكْـرَارِهَا حَتَّى حَفِظْتُـهَا غَيْبًـا، ذَلِكَ لِمَا فِيهَا، شَأْنُ القُـرآنِ كُلِّهِ، مِنْ إِعْجَازٍ وَإِبْهَارٍ، وَتَحَـدٍّ لِلكَافِرِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَيُنْكِرُونَ وُجُودَ الخَالِقِ المُبْدِعِ العَظِيمِ.

قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: هَاتِى مَا عِندَكِ يَا إِيمَانُ.

فَقَالَتْ إِيمَانُ بَعْدَ التَّعَوُّذِ وَالبَسْمَلَةِ:

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)** ﴾ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ [**الحج**].

وَقَالَ رَبُّ الْبَيْتِ، أَبُو أَيْمَنَ:

الآيَةُ يَا عَزِيزَتِى إِيمَانُ، جُزْئِيَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نُشُوءِ الحيَاةِ تُتِمُّهَا آيَاتٌ أُخَرُ، تَوَزَّعَتْ بَيْنَ دَفَّتَى المصْـحَفِ الشَّـرِيفِ، بِحَـيْثُ تَتَكَامَلُ الصُّـورَةُ، لِتَـرُدَّ زَعْمَ جَاهِلِيَّـةِ الكَافِـرِينَ وَالمُشْـرِكِينَ وَالمعَانِدِينَ، لَيْسَ فِى عَـهْدِ النَّبِىِّ ﷺ فَقَطْ، بَلْ مُنْذُ أَوَّلِ الخَلِيـقَةِ، إِلَى يَوْمِ يُبْعَـثُونَ، وَعَلَى مَدَى عُـمرِ الإِنْسَانِيَّـةِ وَالبَشَرِيَّةِ، فَـكَمْ مِنْ عَالِمٍ فِى أَيَّامِنَا هَذِهِ يُنْكِرُ وُجُـودَ الخَالِقِ سُبْـحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيُنْكِرُ البَعْثَ وَالنُّشُورَ، وَكَأَنَّهُ يُرَدِّدُ قَوْلَ مَنْ سَبَقُوهُ: ﴿ **... إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩)** ﴾ [**الأنعام**].

ثُمَّ الْتَفَتَ الوَالِدُ إِلَى سَائِرِ أَفْرَادِ الأُسْرَةِ قَائِلاً:

هَيَّا بِنَا إِلَى غُـرفَةِ المعِيـشَةِ، وَقَدْ أَنْهـيْنَا غَدَاءَنَا، وَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَدْفَـأُ لَنَا، نَشْرَبُ الشَّاىَ، وَنُتِمُّ الحدِيثَ.

وَانْتَقَلُوا جَمِـيعًا إِلَى غُرْفَةِ المعيشَـةِ، فجلَسَ أَبُو أَيْمَنَ مُتربِّعًا عَلَى مَقْـعد وَثِير، وَالْتَفَّ بِعَبَاءَته، وتَحلَّقَ أَفْرَادُ الأُسْرَةِ مِنْ حَوْلِه، وبَعْدَ آخرِ رَشْـفَةٍ مِنْ قَدحِ الشَّاى، وَضَعَهُ جَانِبًا، ثُمَّ قَرأَ بَعْدَ التَّعَوُّذِ وَالْبَسْمَلَةِ:

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [**الأنبياء**]. وَاسْـتَطْرَدَ فِى القِـرَاءَةِ إِلَى آخرِ الآيَةِ الـثَّالِثَـةِ وَالثَّلاثِينَ مِنْ سُورَةِ الأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ قَالَ:



إِنَّ كَثِيـرًا مِنَ الآيَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فِى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لا تَزَالُ عَلَى بَكَارَتِهَـا، بِمَعْنَى أَنَّها لا تَزَالُ سِرًّا غَامِـضًا عَلَى الْعُـقُولِ وَالْفُهُـومِ، لَمْ يَسْتَطِعِ الْعِلْمُ إِلَى يَوْمِنَا هَـذَا، رَغْمَ إِنْجَازَاتِهِ الضَّخْمَةِ الْهَائِلَةِ وَالسَّـرِيعَةِ فِى الْعُقُودِ الأَخِيرَةِ، أَنْ يُدْرِكَ حَقَائِقَهَـا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ المصْطَفَى ﷺ: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ۝٧**﴾ [**آل عمران**] وَيَقُولُ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى فِى آيَةٍ أُخْرَى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ۝٨٥**﴾ [**الإسراء**] وَيَقُولُ جَـلَّ جَلالُهُ: ﴿ **...نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦**﴾ [**يوسف**] وَيَقُولُ عَـزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ... ۝٥٤**﴾ [**الحج**].

وَلَوْ أَرَدْتُ، وَاتَّسَعَ المجَالُ، أَنْ أَتْلُوَ عَلَيْكُمْ مِنَ الآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ مَا يُؤَكِّدُ عَجْزَ الإِنْسَانِ، وَقُصُورَهُ عَنِ المعْرِفَةِ التَّامَّةِ بِكُلِّ مَـا يُحِيطُ بِهِ، أَوْ حَتَّى فِى ذَاتِهِ وَكِيَانِهِ، لَفَعَلْتُ ذَلِكَ، وَلَكِنِّى أَكْتَفِى بِمَا رَوَيْتُ لَكُمْ، فَفِيهِ الكِفَايَةُ.

أَلَمْ تَسْمَـعُوا بِمَرَضِ الإِيدْزِ، وَهُوَ تَلَفُ جِـهَازِ المنَاعَةِ عِندَ الإِنْسَـانِ، وَكَيْفَ أَنَّ الْعِلْمَ يَقِفُ حَائِرًا أَمَامَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَهُوَ بِحَاجَـةٍ إِلَى وَقْتٍ - لا يَعْلَمُهُ إِلا اللَّهُ تَعَالَى - لِيَكْتَشِفَ الْعُلَمَاءُ المخْتَصُّونَ فَيْرُوسَهُ، أَىْ جُـرْثُومَتَهُ، وَيَصْنَعُونَ لَهُ الدَّوَاءَ النَّاجِعَ، وَمِنْ قَبْلِهِ السَّرَطَانُ، وَمِنْ قَبْلِهِ كَذَا. . .وكَذَا مِنَ الأَمْرَاضِ، حَتَّى وَبَعْدَ اكْتِشَافِ جُرْثُومَةِ الإِيدْزِ، وَمُعَالجَتِهِ فَلَسَوفَ يَسْتَجِدُّ مِنَ الأَمْرَاضِ مَا يُشعِرُ الإِنْسَانَ العَالِمَ بِالعَجْزِ الدَّائِمِ.

وَسكَتَ الْوَالِدُ بُرْهَةً، ثُمَّ أَرْدَفَ:

هَذِهِ التَّوطِئَةُ كَانَ لا بُدَّ مِنْهَا لِلْحَدِيثِ عَنْ قِصَّـةِ نُشوءِ الحيَاةِ الَّتِى سَجَّلَهَا القُرْآنُ الكَرِيمُ فِى آيَاتٍ قَلائِلَ مُحكمَةٍ، وأَنْـفقَ الْعُلَمَاءُ أَعْمارَهُمْ عَلَى مَدَى أَجْيالٍ مِنْهُـمْ، فَعرَفُوا الْقَلِيلَ، وَجَهلُوا الكَثِيرَ، ولَيتَهُمْ بِمَا اهْتَدَوْا كَانُوا مُؤْمِنِينَ، فَهُمْ وَالبدَائِيُّونَ سَواءٌ فِى الْكُفْرِ.

قَالَ أَيْمَنُ:

يُعْجِبُنِـى يَا أَبِى فِى مَجَالِ الاهْتِدَاءِ إِلَى الخَـالِقِ عَزَّ وجَلَّ، النَّظْرَةُ الفِطْرِيَّةُ إِلَى الكَوْنِ، الخَالِيةُ مِنَ التَّـعْقِيدَاتِ، المتدَبِّرَةُ لأَحْـوَالِهِ، كَمَا فَعَلَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِـيمُ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- حِينَ نَظَرَ إِلَى الكَوكَبِ، ثُمَّ إِلَى القَمَـرِ، ثُمَّ تحوَّلَ إِلَى الشَّمْسِ، ثُمَّ اهْتَدَى، تِلْكَ النَّظْرَةُ الَّتِـى يَحكِيهَا لَنَا الْقُرْآنُ الكَرِيمُ، فِى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾** ﴾ [**الأنعام**].

قَالَ الوَالِدُ: نَعَمْ يَا وَلَدِى، هَذِهِ النَّظْرَةُ السَّدِيدَةُ إِلَى الكَوْنِ وَالحيَاةِ، لِنتدَبَّرَ بِهَا وَنَسْتَدِلَّ عَلَى خَالِقِ الكَوْنِ وَالحيَـاةِ، وَمِمَّا يُذْكَرُ أَنَّ الْقَومَ الَّذِينَ نَشَأَ إِبْرَاهِيمُ-عَلَيْـهِ السَّلامُ بَيْنَهُمْ- كَانَ بَعْضُهُمْ يَعْبُدُونَ الكَوَاكِبَ، وَيَتَّخِذُونَهَا آلِهةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فكَانَ تَأَمُّلُ إِبرَاهِيمَ- عَلَيهِ السَّلامُ-

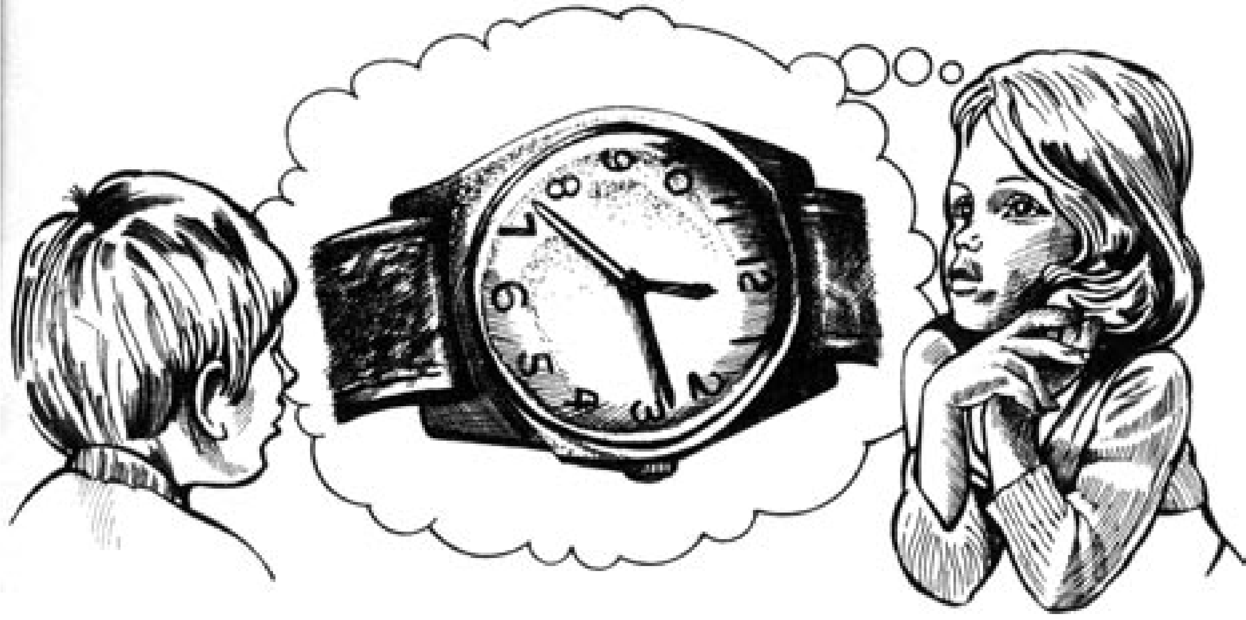
وَسِيلَةً لِلاسْتِدْلالِ عَلَى جَهْلِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عَنْ حَقِيقَةِ العُبُودِيَّةِ، لأَنَّ الإِلَهَ لا يَغِيبُ، وَلا يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَغِـيبَ لَحْظَةً وَاحِـدَةً عَنْ مَخْلُـوقَاتِهِ، وَإِلا لَفَسَـدَ نِظَامُ الكَوْنِ وَدُمِّـرَتْ هَذِهِ الحيَـاةُ، وَالكَوكَبُ وَالقَمَرُ وَالشَّمْسُ مَخْلُوقَاتٌ تَسِيرُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَتَظهَرُ وَتَغِيبُ، وَجَعَلَ اللَّهُ لَهَا أَفْلاكًا تَدُورُ فِيهَا؛ وَلِهَـذَا لا يَجُوزُ أَنْ يَتَّخِذَهَا البَشَرُ آلهَةً، إِذْ إِنَّهـا مَخْلُوقَاتٌ لِلَّهِ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُهَا كَيْفَ يَشَاءُ.





قَالَ أَشْـرَفُ: وَلا أَنْسَى يَا أَبِى، قِصَّـةَ ذَلِكَ الأَعْرَابِىِّ البَـدَوِىِّ، الَّذِى رَوَيْتَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ، أُسلُوبَ اهْتِدَائِهِ الفِطْرِىِّ إِلَى وُجودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ذَلِكَ البَدَوِىُّ الَّذِى نَظَرَ إِلَى الأَرْضِ الصَّحْرَاوِيَّةِ الرَّمْلِيَّـةِ، فَرَأَى آثَارَ أَقْدَامٍ وَحَوَافِرَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَـاءِ، فَرَأَى بُعْدًا شَاسِعًا وكَـواكِبَ لامِعَةً، وفَضَاءً لا يَحـدُّهُ نَظَرٌ، فَقَالَ: الأَثَرُ يَدُلُّ عَلَى المَسِيـرِ، وَالبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى البَعِـيرِ، فَسَمَـاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ، كَيْفَ لا تَدُلاَّنِ عَلَى اللَّطِيفِ الخَبِيرِ؟



وَقَالَتْ إيمَانُ: ولِمَاذَا نَذْهَبُ بَعِيـدًا؟ انظُرْ يَا أَشْرَفُ إِلَى تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِى فِى مِـعْصَمِكَ .. وتَأمَّلْ دِقَّةَ صَنْعَتِـهَا، وَإِحْكَامَ سَيْرِهَا بِمَا فِـيهَا مِنْ أَجْزَاءٍ دَقِيـقَةٍ، وَقَدْ صَنَعَهَا صَـانِعُهَا، وَضبطَهَا بِحَيْثُ تَتحرَّكُ عقَارِبُهَا بِوَقْتٍ مُحَـدَّدٍ مُعَيَّنٍ، لا تُقدِّمُهُ وَلا تُؤخِّرُهُ إلا إِذَا حَدَثَ فِيهَا عطَبٌ يُسَبِّبُ خلَلاً مَا، هَلْ يُمكِنَ أَنْ تُصدِّقَ يَا أَخِى بِأَنَّ هَذِهِ السَّاعَـةَ قَدْ أَنْشَأَتْ نَفْسَهَا، أَوْ أَتَتْ بِهَا صُدْفَةٌ مِنَ الصُّدَفِ، وَأَلْقَتْ بِهَا فِى يَدِكَ هكَذَا؟

قَالَ أَشْرَفُ: لا، طَبْـعًا، إِنَّ وُجُودَ هَذِهِ السَّاعَةِ فِى يَدِى يَدُلُّ دلالَةً قَـاطِعَةً عَلَى وُجُودِ صَانِعٍ لَهَا، اخترعهَا، وَفكَّرَ فِى كُل جُـزْءٍ يُمكِنُ أَنْ يُحكِمَ سَيرَهَا، وَأَخرَجَهَا إِلَى النَّاسِ بَعْدَ ذَلِكَ صَالِحَةً لِلاستِعْمَالِ، وَضَبْطِ مَوَاقِيتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

قَـالَتْ إيمَانُ: وَهكَذَا الكَوْنُ الْفَـسِيحُ، إِذَا نَظَرْنَا إِلَيْـهِ هَذِهِ النَّظْرَةَ فَـلابُدَّ أَنْ تَهْـتَـدِىَ القُلوبُ، وَتُؤمِنَ إِيمَانًا فِطْرِيا بِوُجُودِ الخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ الوَالِدُ: صدَقْت يَا إِيمَانُ، وأَحْسَنْتَ يَا أَشْـرَفُ، إِنَّ النَّظَرَ المتَأَمِّلَ، وَالبَصرَ الوَاعِىَ، المدَقِّقَ البَاحِثَ لا بُدَّ أَنْ يُحـرِّكَ العَقْلَ وَالحسَّ؛ لِذَا خَاطَبَ اللَّهُ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى الكَافِرِينَ، لِيُعـمِلُوا البَصرَ، وَيُمـعِنُوا النَّظَرَ فِى انْفِتَـاقِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، بَعْـدَ الرَّتْقِ الَّذِى كَانَ بَيْنَهُـمَا وَفِيهِمَا.

لَقَدْ كَـانَ الكَوْنُ، الَّذِى نَرَاهُ، جَمْـعًا مُتَّـصِلا بَعْضُـهُ بِبَعْضٍ مُنْذُ عَـشَرَاتِ المَلايِينِ مِنَ السِّنِينَ، مُتلاصِقًا مُـتراكِمًا، ثُمَّ فَتَقَ بَعْضَهُ عَنْ بَعْضٍ، وَأَخَذَ كُـلُّ جُزْءٍ مِنْهُ وَضْعَهُ الَّذِى قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْعِلْمُ الحدِيثُ بِمَا أُوتِيَهُ مِنْ إِمْكَانَاتٍ وَآلاتٍ وَحاسِبَاتٍ لِيُثْبِتَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُقَرِّرَهُ.

كَمَا فُـتِقَتِ السَّمَاءُ بِالْمَاءِ يَنْهَمِـرُ مِنْهَا انْهِمَارًا، مَطَرًا مِـدْرَارًا، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ عَوَامِلَ جُغْرَافِيَّةٍ تَعْرِفُـونَهَا، فَالشَّمْسُ الَّتِى تَجلَّتْ تُبخِّرُ المَاءَ فَتركُمُهُ سَـحَابًا، ثُمَّ يَمرُّ بِتَيَّارٍ مِنَ الهوَاءِ البَارِدِ، فَيَسقُطُ مَطَرًا أَو بَرَدًا، أَوْ ثَلْجًا، وَأَيْضًا فُتِقَتِ الأَرْضُ، وَانْحَسَرَتْ يَابِستُهَا بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَتكوَّنتِ الْقَارَّاتُ تَفْـصِلُ بَيْنَهَا البِحَارُ والمحِيطَاتُ، فَـاسْتَقَرَّ فَوْقَ اليَـابِسَةِ أَهْلُهَا الَّذِينَ أُهْبِطُوا إِلَيْهَا، وَنَشَأَتْ فِى البِحَارِ عَوالِمُ أُخْرَى، وَتهيَّأَتِ الأَرْضُ لِلإِنْبَاتِ، تَتَلَقَّى مَاءَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تُخْرِجُ مِنْهَا حَبا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًـا وَنَخْلاً، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، مَتَاعًا لِلإِنْسَانِ وَالحيَوَانِ، وَغِذَاءً يمدُّهُ بِالحيَاةِ.

قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: إِذًا، فَـالأَصْلُ فِى تكوُّنِ الإِنْسَانِ وَالحيَـوَانِ، عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ، خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ.

قَالَ أَبُو أَيْمَنَ: هَـذَا صَحِيحٌ يَا أُمَّ أَيْمَنَ، وَلْنَتَـأَمَّلْ فِى هَذَا المعْنَى قَوْلَ اللَّـهِ تَعَالَى فِى سُورَةِ النُّورِ: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾**﴾، فَالـدَّابَّةُ هِـىَ كُلُّ مَا دَبَّ عَلَـى وَجْـهِ الأَرْضِ مِنَ الحيَـوانِ، وَيَذْكُرُ عُلماءُ السِّيرةِ النَّبَوِيَّةِ هُنَا نُكْتَةً لَطِيفَةً، إِذْ

يَقُولُونَ فِى مَعْرِضِ الْكَلامِ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ ومَعَهُ أَبُو بكْرٍ الصِّدِّيقُ- رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ- قَابَلَهُمَا أَعْرَابِىٌّ فَسأَلَهُمَا: ممَّنْ أَنتُمَا؟ يَقْصِدُ من أَىِّ مَكَانٍ أَنْتُمَا؟ فقَالَ لَهُ النَّبِىُّ ﷺ: نَحْنُ مِنْ مَاءٍ.. ففَهِمَ منْهَا الرَّجُلُ أَنَّهُمَا أَتَيَا مِنْ مكَانٍ فِيهِ مَاءٌ.. ولَمْ يكْذِب النَّبِىُّ ﷺ علَى الرَّجُلِ؛ لأَنَّهُ يَقْصِدُ فِى نِيَّتِهِ أَنْ يَقُولَ: نَحْنُ خُلِقْنَا مِنْ مَاءٍ.. وكَانَ الوَقْتُ وَقْتَ حَرْبٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المشْرِكِينَ، فَكَانَ الكَلامُ المغَطَّى، وَالتَّوريَةُ الَّتِى تَحمِلُ أَكْثَرَ مِنْ مَعْنًى مَطلوبَةً فِى هَذَا الموْقفِ لِئَلا يَنْكَشِفَ أَمرُهُمَا لِلمُشْرِكِينَ، وَيحدُثُ مَا لا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ.

وَاسْتَرَاحَ أَبُو أَيْمنَ هُنيهَةً مِنَ الوَقْتِ، ثُمَّ تَابَعَ الحديثَ قَائلاً:

وَفِى تَحْلِيلٍ عِلْمِىٍّ لجِسْمِ الإِنْسَانِ وَمُكونَّاتِهِ تَبيَّنَ أَنَّ نِسْبَةَ الماءِ فِيهِ هِىَ أَعْلَى النِّسَبِ، فَالمَاءُ هُوَ الأَسَاسُ فِى تكوُّنِ الأَحْيَاءِ عُمُومًا بِلا اسْتِثْنَاءٍ.. وَصَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ إِذْ يَقُولُ: ﴿... **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ... (٣٠)** ﴾ [**الأنبياء**].

قَالَتْ إِيمَانُ: حَتَّى الجِنُّ وَالملائِكَةُ؟

قَالَ أَبُو أَيْمَنَ: هُنَا يَتَوَقَّفُ الْعُلَمَاءُ، فَيَقُولُونَ إِنَّنَا لَمْ نُشَاهِدِ الجِنَّ وَالملائِكَةَ، وَلَيْسَ الجِنُّ وَالمَلائِكَةُ دوَابَّ تَمْشِى عَلَى الأَرْضِ، وَالمعْرُوفُ عِندَ العُلَمَاءِ أَنَّ الجِنَّ خُلِقَ مِنَ النَّارِ كَمَا يَذْكُرُ القرآنُ الكَرِيمُ- وَالملائِكَةُ خُلِقَتْ مِنَ النُّورِ، وَعَلَى هَذَا فَلَيْسَ الجِنُّ وَالملائِكَةُ مِنْ تِلكَ الأَحْيَاءِ المخْلُوقَةِ مِنَ المْاءِ الَّتِى تَتَحدَّثُ عَنْهَا الآيَاتُ.

وَلْنَعُدْ إِلَى تِلْكَ الآيَةِ الَّتِى تَلَوْنَاهَا فِى بِدَايَةِ حَدِيثِنَا، فَنَرَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ بَدَأَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... (٣٠)**﴾ [**الأنبياء**] ثُمَّ خَتَمَهَا بِالحَضِّ وَالحَثِّ عَلَى الإِيمَانِ، وَكَأَنَّهُ التَّقْرِيعُ وَاللَّوْمُ وَالعِتَابُ فِى قَوْلِهِ الْكَرِيمِ: ﴿... **أَفَلا يُؤْمِنُونَ (٣٠)**﴾ [**الأنبياء**].

ثُمَّ سَأَلَ أَبُو أَيْمَنَ ابْنَهُ أَشْرَفَ:

قُلْ لِى يَا أَشْرَفُ، عِنْدَمَا يَبْدَأُ بَائِعُ الْفَاكِهَةِ بِالوَزْنِ كَيْفَ تَرَى كَفَّتَى المِيزَانِ؟

فَأَجَابَ أَشْرَفُ: تَهتزَّانِ ثُمَّ تَثْبَتَانِ.

قَالَ أَبُو أَيْمَنَ: تَثْبتَانِ بِفِعْلِ الثِّقَلِ .. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

فَأَجَابَ الجمِيعُ: أَيْمَنُ وأَشْرَفُ وَإِيمَانُ: نَعَمْ يَا أَبِى.





قَالَ أَبُو أَيْـمَنَ: وَهكَذَا الجِبَـالُ بِالنِّسْبَـةِ لِلأَرْضِ، فَقَدْ أَرْسَى الـلَّهُ تَعَالَى الجِبَالَ، مَعَ اخْتِلافِهَا عُلُوًّا وَاتِّسَاعًا، لِتكُونَ عَامِلَ اسْتِقْرَارٍ وَثَبَاتٍ لِلأَرْضِ.

وَأَضَافَ: وَأَيْضًا جَعَلَ لَهَا جُذُورًا تَمتدُّ فِى دَاخِلِ الأَرْضِ، كَأَنَّهَا أَوْتَادُ الخِيامِ، حَتَّى لا تَقْتَلِعَها الرِّيَاحُ أَوْ تَذْرُوهَا، فَـتكُونَ قَاعًا صَفْصَفًا، وَمِنْ ثَمَّ تَـضْطَرِبُ الأَرْضُ وتَمِيدُ بِأَهْلِهَا، تَهْتَـزُّ وتَمِيلُ، فَلا يَسْتَـقِرُّ عَلَى سَطْحِها كَـائِنٌ؛ لأنَّ البِحَارَ وَالمحِيطَاتِ سَاعَتَـئِذٍ تَطْغَى عَلَى الْيَابِسَةِ، فَتهلِكُ كُلَّ شَىْءٍ، ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ [**النبأ**].

وَلْنتأَمَّلْ حِكْمَـةَ رَبِّنَا جَلَّ جَلالُهُ، فَلَوْ أَنَّ الأَرْضَ كَـانَتْ مَهْدًا كُلَّهَـا لَمَا قُدِّرَ لِلطُّرقِ أَنْ تَظهَرَ، وَلا لِلأَمْطَارِ أَنْ تتكَوَّنَ أَنْهَارًا لِـتَجْرِىَ إِلَى الوِدْيَانِ، ثُمَّ إِلَى السُّهولِ فَتـروِيَهَا، وَتبْعَثَ الحياةَ وَالخُضْـرَةَ فِيهَا، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِـهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ **وَجعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** ﴿٣١﴾ ﴾ [**الأنبياء**].

قَالَ أَيمَنُ: هَذَا مِنْ جِهَةِ الأَرْضِ فَقَطْ، الَّتِى نَعِيشُ فَوقَهَا وَنَسْتَمِدُّ الحياةَ مِنْهَا بِمَا أَوْدَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِيـهَا مِنْ إِمْكانَاتٍ عَلَى الْعَطَاءِ، فَمَا بَالُ غَيـرِهَا مِنَ المخلُوقَاتِ وَالْكَائِنَاتِ الَّتِى لا نرَاهَا، بَلْ وَالَّتِى نرَاهَا، وَلَكِنَّنَا نَعْجَزُ عَنْ إِدرَاكِ كُنْهِهَا، وَمَدَى قُدرَةِ اللَّهِ فِى إِبْدَاعِهَا.

قَـالَ أَبُو أَيْمنَ: صَدقْتَ يَـا بُنَىَّ، وَلَعَلَّ فِى قَوْلِـكَ هَذَا مِصْـدَاقًا لِـقَولِ اللَّهِ تَعَـالَى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ** ﴿٣﴾ **ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ** ﴿٤﴾ ﴾ [**الملك**] فَالسَّماءُ الَّتِى تُظِلُّنَا أَمرُهَا أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ.

إنَّها تَبْدُو لَنَا كَالقُبَّةِ تمامًا، قَدْ رُصِّعَتْ وَزُيِّنَتْ بِالكَوَاكِبِ. وَالنُّجُومُ تَتلأْلأُ فِيهَا كَالدُّررِ اللامِعَةِ، البَـرَّاقَةِ، وكَثَافَةُ الأَثِـيرِ فِيهَا، وَطَبَـقَاتُ الْهَوَاءِ تُعْطِيهَا الـلَّوْنَ الأَزْرَقَ الصَّافِىَ، قَدْ حُمِّلَتْ بِعَنَاصِرَ نَسْتَنْشِقُـهَا، فَتَكُونُ لَنَا سَبَبًا حَياتِيًّا، وَخاصَّةً عُنْصرَ الأُكسجِينَ، يَلُفُّ الكُرَةَ الأَرْضِيَّـةَ، عَلَى ارْتِفَاعٍ فِى الفَـضَاءِ مَحـدودٍ لَوْ تَجاوَزْنَاهُ لَكَانَ الاخْـتِنَاقُ وَالموْتُ . . ولَعَلَّ إحْدَى آياتِ سُورةِ الأَنْعَامِ تُشِيرُ إِلَى هَذَا المعْنَى فِى قَولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ . . .** ﴿١٢٥﴾﴾ [**الأنعام**].

ولَعلَّ هَذَا أيضًا هُوَ مَعْنَى قوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا . . .** ﴿٣٢﴾﴾ [**الأنبياء**] مِنْ كُلِّ خطَرٍ يُهدِّدُ حَيَـاةَ الْكَائِنَاتِ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ، ولَعَلَّكُمْ قَدْ سَمِـعْتُمْ أَيْضًا عَنْ طَبَقَةِ الأُوزُونِ، تِلكَ الـطَّبَقَةُ الَّتِى يَقُولُ الْعُلَمَاءُ عَـنْهَا أَنَّهَا تُشْبِهُ الفِلْتَـرَ الَّذِى يَعْمَلُ عَلَى تَنْقِيَّةِ أَشِعَّـةِ الشَّمْسِ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى الأَرْضِ بِمقْدَارٍ مَوْزُونٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ سُبْـحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِذَا انْشَقَّتْ طَبَقَةُ الأُوزُونِ هَذِهِ أَوْ تآكلَتْ، وَانْصبَّتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ تِلْكَ التَّنْقِيَةِ لَسَبَّبَتِ الكَثِيرَ مِنَ الخَرَابِ وَالدَّمَارِ والأَمْرَاضِ الفَتَّاكَةِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

وَهكَذَا يَا أَبْنَائِى . . لا نرَى فِـى طَبَقَـاتِ الأَرْضِ ثَغْـرةً وَلا انْشِـقَاقًـا وَلا تَفـاوُتًا فِى الارتِفَاعِ مِنْ نَاحِيةٍ دُونَ أُخْرَى، فسُبْحَانَ الَّذِى أَبْدَعَ وَكَوَّنَ، سُبْحَانَ اللَّهِ.

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يُشِيـرُ إِلَى ذَلِكَ فِى سُورَةِ الملْكِ الَّتِى تَلَوْنَا آيَاتٍ مِنْهَا، وَيَحُثُّنَا وَيحرِّضُنَا لِـلنَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ وَالتـدبُّرِ وَالاعْتِبَـارِ، إِنَّها دَعْـوَةٌ إِلَى العِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ، وَالاسْـتِنْتَاجِ، وَالإِيمَانِ بِاللَّهِ الخَالِقِ الْعَظِيمِ.

قَالَ أَيْمَنُ: أَظُنُّ أَنَّهُ لا ضَيْرَ، فِى أَنْ نَتْلُوَ آيَاتِ سُـورَةِ الْمُلْكِ هَذِهِ، مَرَّةً ثَانِيَةً، فَلْيَسْمَحْ لِى الوَالِدُ بِتِلاوَتِهَا، فَإِنِّى أَحْفَظُهَا وَأُرَدِّدُهَا كَثِيرًا فِى نَفْسِى، وَأَتَأَمَّلُهَا، وَأُفَكِّرُ فِيهَا.

قَالَ أَبُو أَيْمَنَ: نَعَمْ يَا بُنَىَّ، لا ضَيْرَ مِنْ تِـلاوَةِ القُرْآنِ وَتَكْرَارِ تِلاوَتِهِ، فَاقْرَأْ، زَادَكَ اللَّهُ هُدًى.

وَاسْتَـعَاذَ أَيْمَنُ مِنَ الشَّيْطَـانِ الرَّجِيمِ، وبَدَأَ يَتْلُو: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْـمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)** ﴾ [**الملك**].

ثُمَّ أَضَافَ أَبُو أَيْمَنَ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ الكَوْنِـيَّةِ العَظِيـمَةِ، فَـإِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ يُعْـرِضُونَ عَنْهَـا، بِأَبْصَارِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ، لا يُرِيدُونَ الهِدَايَةَ وَالإِيمَانَ، وَيُصِرُّونَ عَلَى الكُفْرِ، وَالحِنْثِ العَظِيمِ.

وَقَدْ يَسْـتَبِدُّ بَعْضُـهُمْ - مِمَّنْ يَدَّعُونَ العِلْمَ - فَيـحَاوِلُونَ مُحَاوَلاتٍ يَائِسَـةً بَائِسَةً، فِى تَعْلِيلِ الظَّوَاهِرِ وَتَبْرِيرِهَا، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى اللَّهِ وَخَلْقِهِ، مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيـرٍ. فِى جَهْلٍ قَاتِلٍ، وَغُرُورٍ أَحْمَقَ، وَيَلْحَـقُ بِهِمْ أُنَاسٌ يَزْعُقُونَ وَرَاءَهُمْ، وَيُرَدِّدُونَ أَكَاذِيبَهُمْ، هَؤُلاءِ وَأُولَئِكَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ.



وَتَابَعَ الوَالِدُ يَقُولُ:

وَاسْمَعُوا يَا أَبْنَائِى هَذِهِ الحِكْمَةَ المأْثُورةَ، يُرْوَى أنَّ أَحَدَ عُبَّادِ بَنِى إِسْرَائِيلَ، تَعَبَّدَ لِلَّهِ تَعَالَى ثَلاثِينَ سَنَةً، وكَانَ الرَّجُلُ مِنهُمْ إذَا فعلَ ذَلكَ أَظَلَّتْهُ غَمامَةٌ، ولَكِنَّ ذَلكَ الرَّجُلَ لَمْ يَرَ شَيْئًا مِمَّا كانَ يَحصلُ لِغيرِهِ، فَشكَا ذَلكَ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ لَهُ: يَابُنَىَّ، فلعلَّكَ أَذْنَبتَ فِى مُدَّةِ عِبادَتِكَ هَذِهِ؟ فقَالَ: لا وَاللَّهِ يَا أُمَّاهُ، مَا أَعْلَمُهُ. قَالَتْ: فَلعَلَّكَ هَمَمْتَ؟ فقَالَ: لا، وَلا هَمَمْتُ. قَالَتْ: فَلعَلَّكَ رَفَعْتَ بَصَرَكَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ رَدَدْتَهُ بِغَيْرِ فِكْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَثِيرًا. قَالَتْ: فَمِنْ هُنَا أُتِيتَ.

فَفَسَّرَتْ هَذِهِ المرْأَةُ عَدَمَ إِنْعَامِ اللَّهِ عَلَى وَلَدِهَا بِظِلِّ السَّحابَةِ كَغيرِهِ مِنَ العُبَّادِ، بِأَنَّ عِبَادَتَهُ لَمْ تَكُنْ كَامِلَةً؛ لأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ نَظَرَ مَنْ لا يُفكِّرونَ وَلا يَتَأَمَّلُونَ.

وَتَمعَّنُوا يَا أَبْنَائِى فِى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴿٣٣﴾﴾ [**الأنبياء**]. فَبِهَذَا، يَا أَعِزَّائِى تَكْتَمِلُ فِى إِيجَازٍ بَدِيعٍ الصُّورَةُ الكَوْنِيَّةُ.

اللَّيْلُ فِى ظَلامِهِ الحَالِكِ وسُكُونِهِ، وَالنَّهارُ بِضِيَائِهِ وَأُنْسِهِ، يَطُولُ هَذَا تَارَةً، وَيَقْصُرُ أُخْرَى، وَعَكْسُهُ الآخَرُ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ اللَيْلَ لِبَاسًا، يَكِنُّ فِيهِ النَّاسُ وَيرْقُدونَ، فَإِنَّ السَّعْىَ فِيهِ خَبْطٌ عَلَى غَيْرِ هُدًى، وَجَعَلَ النَّهَارَ مَعَاشًا، يَغْدُونَ فِيهِ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، يَغْمرُهُمُ الضِّيَاءُ، وَيَهدِيهِمْ سُبُلَ الفَلاحِ وَالرَّشَادِ ﴿**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴿٤٠﴾﴾ [**يس**].

لِكُلٍّ مِنَ الكَوْكَبَيْنِ فَلَكُهُ الَّذى يَدُورُ فِيهِ، وَحُدُودُهُ الَّتى يَتَـحَرَّكُ فِيهَا، لا يَتَخَطَّى ذَلِكَ أَبَدًا ﴿ ... **ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴿٣٨﴾ ﴾ [**يس**].

كُلُّ ذَلِكَ يَا أَحِبَّائى مَدْعَاةُ إِيمَانٍ وَتَسْلِيمٍ، وَاعْتِـقَادٍ رَاسِخٍ بِقُدرَةِ الْعَلِىِّ العَظِيمِ، فَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلامِ، وَاقْرءُوا يَا أَوْلادِى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴿٣٠﴾ **وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** ﴿٣١﴾ **وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ** ﴿٣٢﴾ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ صَـدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ [**الأنبياء**] .

وَإِلَى اللِّقَاءِ فِى القِصَّةِ التَّالِيَةِ رقم (٨٦)

وَعُنْوَانُهَا: (النَّارُ . . بَرْدًا وَسَلامًا)

الأَسْئِلَةُ

١- مَا الفرْقُ بَيْنَ الرَّتْقِ وَالْفَتْقِ، وَمَا مَعْنَى أَنْ تَمِيدَ الأَرْضُ، وَلِمَ تَمِيدُ؟ وَمَاذَا يَحْدُثُ إِذَا مَادَتْ؟

٢- مَا هُوَ الفَـلَكُ المذْكُورُ فِى الآيَةِ الكَرِيمَةِ، وَمَـا مَعْنَى قَوْلِـهِ تَعَالَى: ﴿ ... **كُلٌّ فِي فَلَك يَسْبَحُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [**الأنبياء**]؟.

٣- اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَـاءٍ، فَهَلْ تَنْصَـرِفُ الآيَةُ إِلَى خَلْقِ الملائِكَةِ وَالجِنِّ؟ وَلِمَاذَا؟ اذْكُرْ آيَةً مِنَ القُرآنِ تَدُلُّ عَلَى مَا تَقُولُ.

٤- هَلْ تَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ طَبَقَةِ الأُوزُونِ؟ وَمَاذَا يَحْدُثُ إِذَا أُصِيبَتْ هَذه الطَّبَقَةُ بِتَآكُلٍ أَوِ انْشِـقَاقٍ؟ وَهَلْ تَدْخُلُ فِى مَـعْنَى ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ...** ﴿٣٢﴾ ﴾ [**الأنبياء**]؟

٥- قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «نَحْنُ مِنْ مَاءٍ». جَـوَابًا للأَعْرَابِىِّ الَّذِى سَأَلَهُ: مِمَّنْ أَنْتُمَـا؟ فَمَاذَا كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يَقْصِدُ؟ وَمَا المعْنَى الَّذِى فَهِمَهُ الأَعْرَابِىُّ؟

٦- فِى سُورَةِ الحجِّ، وسُورةِ الملْكِ آيَاتٌ تَحثُّ عَلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ فِى الكَوْنِ وَالحيَاةِ، اذْكُرْ هَذِهِ الآيَاتِ وَوَضِّحْ مَعْنَاهَا.

دَرْسُ النَّحْوِ

التَّمْيِيزُ

يُرادُ بِالتَّمييزِ عِنْدَ إِطْلاقِه فِى اللُّغَة: التَّفْسِيرُ وَالتَّوضِيحُ والبَيَانُ، أَمَّا التَّمْييزُ فِى اصْطِلاحِ النَّحْوِيِّينَ، فَهُوَ الاسْمُ المَنْصُوبُ المميِّزُ لِمَا انْبهمَ مِنَ الذَّوات، وَلْنَتأَمَّلِ الفرْقَ بَيْنَ الحَالِ وَالتَّمْييزِ، فَالحَالُ - كَمَا قُلْنَا - هُوَ الاسْمُ المميِّزُ لِلهَيْئَةِ المبهمَةِ، يَعْنِى الكَيفيَّةَ الَّتى يُوجَدُ عَلَيْهَا صَاحِبُ الحَالِ.

أَمَّا التَّمييزُ فَهُوَ يُفَسِّرُ الذَّاتَ غَيرَ الوَاضحَة، فَإِذَا قُلْتَ: مَعِى عِشْرُونَ جُنَيْهًا، تَجدُ أَنَّ كَلمةَ جُنيهًا تَميِيزٌ لأَنَّها فسَّرَتْ ذَاتًا غَيْرَ وَاضحَة وَهِىَ العَدَدُ عِشْرونَ فَبَيَّنَتْ أَنَّها عشرونَ جُنيهًا، وَليسَتْ عِشرِينَ رِيَالاً، وَكَذَلكَ قَوْلُكَ اشْتَريْتَ مائَةَ كِتَابٍ، أَوْ تِسْعةً وَتسْعِينَ قَلَمًا، وَهُنَاكَ نَوْعٌ منْهُ يُسمَّى تَميِيزَ النِّسبة، مِثْلُ: تَصبَّبَ الرَّجُلُ عَرَقًا، وَطَابَ الفَتَى نَفْسًا، وَلِكلٍّ مِنْ تَمييزِ الذَّاتِ وَتمييزِ النِّسْبَةِ، شُرُوطٌ سَنُقَدِّمُهَا فِى أَعْقَابِ القِصَّةِ التَّالِيةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث